النقد

قصة خسرو وشيرين

والشعر المرسل

بقلم احمد حسن الزيات

ألقى الينا مع البريد رواية شعرية فى خمسة فصول ، بعنوان (قصة خسرو وشيرين) لاتحمل اسم ناظمها ، ولا عنوان طابعها ، ولا تتسم بشىء من السمات الدالة على الشخصية ، فكأنها الوليد البرىء جاء لغية فألقى على مدرجة الطريق ، متروكا لرحمة القدر او قسوته .

الرواية جليلة الموضوع ، نبيلة المغزى ، جميلة النسج ، يتم سياقها وحوارها على قلم مدرب ، وفكر ناضج ، وثقافة عالية ، فلا يمكن ان يكون المؤلف قد أرسلها غفلا . فرارا من تعقب الدين او القانون أو الآداب أو الفن ، اما علة هذا التخفى على مايظهر من المقدمة تمكين الناقدين من الرأى الجر والحكم الصريح فى قضية الشعر المرسل . فان المؤلف كما تدل المشابهة القوية بين ما نشر من [illegible] الشعر فى (الرسالة) وبين ماجاء منه فى هذه الرواية ، زعيم القائلين به والقائلين فيه ، فهو بذلك يضع المثل أمام القراء والشعراء ليقطع حبل الجدل ، ويخرج من النظر الى العمل ، ويجعل الدفاع عن هذا المذهب لقوة الحياة فيه ، ومبلغ الفائدة منه .

أضف الى ذلك ان المؤلف يدرك بو هذا الشعر فى ذوق الجمهور فهو يريد ان يوسع له فى مجال القول ، ولا يجعل لاعتراضه او امتعاضه حدا من الصداقة أو المجاملة . قال الاستاذ فى المقدمة :

« أرجو أيها القارىء مما يمكن ان تتحمله فى قراءة هذا ال... (ماذا أسمى هذا ؟ اضن تسمية ان أسميه المطبوع) . وأنك ان قرأت منه كلمة واحدة أو سطراً واحداً ثم رميته كارها كنت عندى معذورا ، فهذا ماتوقعته ، ولا عجب فى الامر إذا كان متوقعاً ولست عندى معذورا لحسب ، بل انك جدير بشكرى ، اذ أنك قرأت منه شيئاً فى حين أن كثيرا من الناس إذا وقع لهم مثل هذا المطبوع لا يقرأون منه حرفا بل يقلبون صفحاته تقليباً سريعا ، ثم يرمون به الى أقرب موضع ، ولكنهم مع ذلك لا يترددون فى ان يبدوا رأيا فى عيوبه أو محاسنه إن تكرموا . وأما إذا أنت صبرت أيها القارىء فقرأت سطرين أو ثلاثة من هذا المطبوع ، ثم قذفت به حيث أردت لم تكن فى ذلك بالمعذور ، بل كنت متفضلا مضحيا من أجل مجاملتى مع أنك لاتعرف من أنا ، وفى هذا أدب عظيم وكرم مطبوع . وأما إذا كنت قد بلغت من قوة ضبط النفس ورياضتها على المكاره بحيث استطعت ان تثبت على القراءة حتى اتيت الى آخر كلمة ، ثم تركت لنفسك العنان بعد طول كبحها وحبسها فانطلقت تصخب وتشتم وتنادى بالويل والثبور — إذا فعلت ذلك كنت فى نظرى بطلا من أبطال العزيمة وقوة الاحتمال . على أنك لو فعلت ذلك لم يمسنى منك أذى وان بلغت فى ثورتك مبلغا مخيفا ، لانى قد توقعت مثل ذلك فاخفيت نفسى حتى لا تتحرج فيما تفعل ، فلعلى إذا أظهرت لك شخصى بدوت لك صديقاً أو ممن يمتون اليك بسبب فتجاملنى أو تكظم غيظك على ، فيكون فى ذلك أذى لك لا أرضاه . فافعل مابدا لك أيها القارىء ، ولا تورع فان أحجارك أو سهامك لن تصل الى) .

ذلك ما بدأ به المؤلف الفاضل مقدمة الرواية ، ومن وراء سطوره كما ترى إغراء بالقراءة . وتحريض على النقد . وعتاب ساخر لمن يقول فى الشىء بغير علم . ويحكم عليه من غير خبرة . فاذا علمت بعد هذا انه لم يعرض روايته فى السوق ، وإنما أهدى ما طبع منها إلى الأصدقاء والأدباء ازددت يقينا بأنه لا يريد غير محاكمة المذهب ، وسواء بعدها أ لنت له أم عليه .

على ذلك نصارح الأستاذ برأينا فى الشعر المرسل ، ونحن أشد ما نكون اطمئنانا الى رضاه ، ووثوقا بحسن ظنه .

***

لقد قرأت الرواية وحاولت أن أوفق بين شعرها المرسل وذوق المقيد فلم أفلح . فالأبيات تطرب أذنى بنغمها المتسقة ، وألفاظها المختارة

ومعانيها السامية . ولكن أواخرها النواشز تتنا كر مع الطبع والسمع فتذهب بحلاوة سياقها وعذوبة موسيقاها . اقرأ معي قوله في الفصل الأول ص ١٤

شيرين :

جئت حينا هنا ، فالفيت أرضا ... غيرما اعتدت إذ تكون بحبي
كان لون الزهور غير بهيج ... وخرير المياه غير جميل

وقوله في الفصل الثاني على لسان خسرو ص ٤١

خسرو :

لا أرى في الأنام أحرى بسخر ... من معنى بكاذبات الأماني
من يكن همه التماسا لرزق ... لم يجد في طلابه أسقاما
قد يهيم الفقير بين الفيافي ... في التماس الاحطاب والاعشاب
فاذا فاز بعد جهد جهيد ... برغيفين لم يعكره هم
غير أن الذي يحاول مجداً ... يدع النوم والسلام ويأبى
ثغره الابتسام . حتى اذا ما ... طالعته المنى رآها سرابا

وقوله في أول الفصل الخامس على لسان جندين يبيتان مجلسا في بهو القلعة لخسرو السجين ص ١٠٣

الأول : ان في الفقر سلوة يا صديق .
الثاني : فتمتع به وجداً هنيئا
إنني لا أراه الا عذابا .
الأول : قد أمنا في الفقر غدر الليالي .
الثاني : هل ترى تلك نعمة ان أمنا ... إذ بلغنا الحضيض ؟ أي أمان !
الأول : ليس في الفقر لو علمنا شقاء . ... انا ان جعت كان حسبي رغيف ،
وإذا ما تعبت نمت عميقا . ... لا أبالي اذا تعريت صيفا .
وشتائي لباسه جلد شاة
الثاني :
لا تبالي اذ كنت فردا وحيدا ... ليس يبكي الاطفال حولك جوعا
كن كما شئت ، عش فقيرا ، فاني ... حانق حاقد على املاقي
الأول :
يا صديقي اكنت ترضى بعز ... ثم تهوى الى قرار سحيق ؟
سل عن المجد والعزازة كسرى ... بعد ان ذاق ذلة المأسور
الثاني :
ان قلبي يسيل هما اذا ما ... من كسرى يختال في الاسر كبرا .
الأول :
حسبه شقوة اذا كان قوم ... مثلنا يرحمونه في شقائه ..

يا صديقي لا تغترر بلباس ... لامع قد يكون ستراً لبؤس .

ماذا تجد في حسك من هذا الشعر ؟ ألا تجد في ذوقك المطبوع على نغم القوافي العربية نفوراً من هذه الفواصل المتدابرة ؟ لقد كان هذا النشوز يخف لو راعى الأستاذ الشاعر اتحاد الاصوات في أواخر الأبيات كقوله مثلا على لسان سرجيس :

قد علمنا أن الحياة غرور ... ثم لا نستطيع غير الغرور
جعل الله في النفوس نزوعا ... لاضطراب الحياة رغم العقول

فان بين الغرور والعقول مزاوجة تلطف من وقعها على الذوق الحساس والعادة الموروثة : ولكن أين هذا وذاك من قوله في ختام الفصل الخامس على لسان شيرين (ص ١٢٩)

أيها الذاهب الشهيد بنفسي ... ما أصابتك من جروح دوامي
قد أسالوا الدم الزكي . وأني ... تنفع المدنف الدموع الهوامي ؟
ذهب اليوم صاحب وحبيب ... كان من هذه الحياة نصيبي
فجعوني به ، فكيف حياتي ... بعد أن غاب عن حياتي حبيبي

شيرويه (يرى شيرين فيظهر التالم)

وا أبي ! صرعة العظيم قضاء ... عرفته النجوم منذ القديم
قد أراد القضاء ما كنت أخشى ، ... ما احتيالي في الكائن المحتوم ؟

شيرين : (لشيرويه)

أنا أبكي والدمع حسبي ، فمالي ... حيلة في المصاب غير دموعي
ليس لي الصولجان والسيف حتى ... أندب الملك بانتقام وجيع .
. . . . . .

شيرين :

دع لمثلي الدموع ، فهي دوائي ... من شجون لواعج وكلوم
فجعوني بصبيتي تحت عيني ، ... وأسالوا دماء قلب سقيم
ثم ضحوا بصاحبي وحبيبي ، ... وافؤاداه للصريع الكريم !
أسعفي بادموع قلبي حتى ... أبتهل الطب في الهلاك الرحيم

فني هذه الابيات اشتد التأثير في الموقف ، وقوى الشعور في الاشخاص ، فغلبت القافية إرادة الشاعر ، وجاء المنظر الختامي حجة عليه ونقضا لما عاناه من ترويض الآذان على الشعر المرسل

* * *

انما يتميز الشعر من سائر ضروب الكلام بخصائص ثلاث : موسيقية شديدة الحساسية ، وصعوبة عسيرة التذليل ، وقدرة على تثبيت الفكرة بلفظها في الذاكرة . فالشعر المرسل يستطيع أن يدرك شيئا من الموسيقى اذا زاوج الشاعر بين أواخر الأبيات ، واستفاد من

الحرية التي أعطيها ، فتخير الالفاظ ، وعدل الاقسام ، وألف الألوان ، وحرك المعاني ، ونوع الصور ، وأخشى بعد ذلك كله الا يرتفع عن النثر البليغ المحكم . ولكن الصعوبة التي تلقى الشاعر في كل بيت عند القافية فيسلط عليها ذهنه وفنه وذوقه ولغته حتى يفجأ أذنك — وهي تنتظر في غير صبر — بتلك السيلة الفنية ، واللفتة الذهنية ، والكلمة الصادقة الموسيقية ، لا تجدها في غير الشعر المقفى

كذلك يعجز الشعر المرسل عن أن يهيء للذاكرة في التمثيل — على الأخص — ما تهيئه لها القافية من (نقط الارتكاز) وعلائم الطريق حتى لا تضل .

على أن تسهيل الشعر هو القافية يخمد الذهن ويجدب القريحة ، لأن الصعوبة ترهف الشعر فيدق احساسه ، وتوقظ العقل فيزيد انتاجه ، وتعمق الفن فيحيا به الهام الشاعر واعجاب القارىء

والواقع أن القافية لم يشكها شاعر مطبوع ولا ناظم مطلع ، فان الطبيعة الغنائية للشعر العربي من جهة ، ووفرة الثروة اللفظية للشاعر من جهة أخرى ، تجعلان القافية من اخص لوازم الشعر واسهل ضروبه . وذلك في الاراجيز القديمة ، والموشحات الحديثة ، وسائر ما استحدث المولدون من الانواع القائمة على موسيقى القافية دليل ناهض على ما نقول .

فاذا وقع شاعر اليوم في رهق من بناء القافية لقلة محصوله من اللغة ، أو لمعالجته التمثيل والقصص الطويل ، كان له في تنويعها مندوحة عن هذا النوع الذي تذبذب بين النظم والنثر ، فوقف من الأذن موقف الغصة من الحلق ، بذلك استطاع البستاني أن يترجم الالياذة ، وتسنى لشوقي أن يبدع في مأساته

° ° °

هذه كلمة موجزة نفتتح بها المعركة الاخيرة بين الشعر المقفى والشعر المرسل ، فان رواية (خسرو وشيرين) مع ملاحظة التحفظ في عرضها ، جاءت بعد المقالات التي نشرت بالرسالة أشبه برواية (هرناني) حين كتبها (هوجو) على المذهب (الروماتيكي) بعد أن دعا اليه في مقدمة (كرومويل) وفاتحة (الشرقيات) فجعلها هو وأنصاره المعركة الفاصلة بين هذا المذهب والمذهب (الكلاسيكي)

° ° °

أما الحديث عن موضوع الرواية ، وتصوير أشخاصها ، وعرض مواقفها ، وتسلسل حوادثها ، وتدرج العمل فيها ، فله فرصة أخرى نرجو أن تحين .

٣٠ ألف اسطوانة للتصفية

ابتداء من اليوم ستصفي شركة اوديون ثلاثين الف اسطوانة بسعر عشرة قروش وهذه الاسطوانات هي لاشهر المغنيات والمغنين المصريين ، فاغتنموا هذه الفرصة واطلبوا الكتالوج الخصوصي للاسطوانات المذكورة من شركة اوديون بشارع طاهر امام البوستة العمومية ؟